جزيرة الجفاف

جريت في رحابها عشرين عام
أعطيت للرياح اروع الانغام
حتى جوادي مات في الطريق
خسرته في وحشة الظلام
ناديت بالدروب حيث لا رفيق
قد يستجيب للنداء
غير سكون الموت في الصحراء
طوفتها من الشروق للغروب
ظمئت يا لها من كارثه
تفتت القلوب
طويلة دروبها . وحالكه
طوفت حول الماء والافياء
وكلها موجودة لكنني بلا ضياء
حتى النجوم حولت شعاعها
وحزمت معي متاعها
وسافرت تبحث عن جزيره
تبحث عن ناس يقدرون نورها ،
تبحث عن حب . وعن أميره
تبذل من كنوزها الوفيره
المـال والمتاع
للظامئين والجياع
أما انا فقد بقيت في مسيرتي الطويله
زورق صياد بلا شراع
تنهبني الدروب والاصقاع
تسلبني الاماني الظليله
ما حيلتي ؟ ...
ليس مجال ها هنا لحيله
حاولت ان اقول للصحراء شيء
لكنها وكبرياءها تطاولا عليّ
جزيرة الجفاف يا لها جزيره
كم حرمتني من مياهها النميره

المفوضية اليمنية باديس ابابا — **احمد الآخذي**

نحو قصيدة الشاعرة فدوى طوقان « الى السيد المسيح في عيده » منكمشا على ذاته ، لانه فقد الرجاء في طبيعة الحركة الديناميكية التي تمثلها الاجيال ، وحين تقول في ختام هذه القصيدة « رحماك اجز يا سيد عنها هذي الكأس » تعطل العمل الانساني جميعه . ولولا انني اعلم ان فجيعة فدوى بكل شبر سليب من ارض الوطن لا تقل عن فجيعتها بسلب القدس لقلت ان هذا فهم « باكستاني » لقضيتنا الكبرى ، ولكن فدوى اعمق نفسا والما وشاعرية من ان يقال في قصيدتها هذا القول . بل ان فدوى ترد على لحظة الضعف في هذه القصيدة بلحظة اخرى تنسجم وطبيعتها . ففي قصيدتها « رسالة الى طفلين في الضفة الشرقية » ايمان انساني وقوة اصيلة في طبيعة الموضوع ، وفيها الى جانب ذلك كله بساطة مشرقة اخذت تنحسر عن كثير مما نقرؤه في الشعر الحديث ، وحين يبلغ القاريء :

يا كرم يا غزالتي
العسل الصافي المضيء في العيون
يوحشني كثير
والخصل الشقراء مثل القمح مثل موسم الحصاد
في بلادنا

توحشني توحشني كثير
اود لو اطير يا غزالتي
عبر المدى اود لو اطير

او حين تقول مخاطبة (عمر) :

هل ذاكر ايام كنت تطلع الجبل
تحمل لي اضمامة من زهر الجبل
قرن الغزال والشقائق الحمراء والزرقاء
والنرجس البري والشمر
هدية الربيع في بلادنا لنا ، هدية المطر
واعبر النهر .....

فانه يستطيع ان يقول : ان اشراق البساطة قد نشر خيوطه الضوئية على كل كلمة وحرف وان كل ما قلته عن حاجة الشعر الحديث الى النظر المعاد والتأمل والاصرار يذوب امام هذه العفوية الصادقة التي تظل تربطنا بحبال الاستجابة التلقائية . وسنظل دائما نحب هذه البساطة ما دام لها طابع الاصالة وشفافيتها ، ومن مظاهر الصحة والعافية ان لا يقضي « التركيب » في الشعر على هذه البساطة المحببة .

غير ان البساطة في قصيدة فدوى تتعرض لعنصرين يقللان من اشراقها ، اولهما « التمدد الكمي » والثاني : الميل الى « التبسيط » ، وهو عنصر يلتبس بالبساطة ولكنه يفترق عنها في ظهور الافتعال على السطح . واوضح مثل لذلك ـ ولعله المثل الوحيد في القصيدة ـ ما جاء في القسم الثاني منها ، حيث تقول الشاعرة :

احبتي الصغار خلف النهر يا احبتي

ـ التتمة على الصفحة ٧٧ ـ